

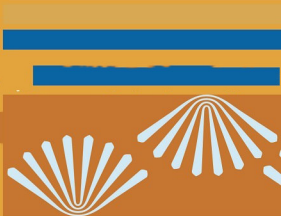


انجمن علمی مطالعات نهج البلاغه ایران
الجمعية العلمية لدراسات نهج البلاغة في إيران

دانشگاه پیام نور

فصلية علمية - محكمة نصف سنوية

دراسات حديثة في نهج البلاغة



ISSN:2476-4671

دراسة تعاليم عصمة الأئمة في وصية الإمام علي (ع)؛ نقد نظرية عبد الرحمن الجميعان

تأريخ القبول: ١٤٣٩/٦/٢١

تأريخ الاستلام: ١٤٣٩/٤/١٨

محمود صيدى*

عنى حسن نيا**

الخلاصة

تعتبر وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة، والتي تسببت في العديد من التحديات لتعاليم عصمة الأئمة في مذهب التشيع. في هذا الصدد، يستنتج عبد الرحمان الجميعان أحد علماء السلفيين بتحليل هذه الرسالة، أن الأئمة ليسوا معصومين من وجهة نظر الإمام علي (ع)، ويثبت عدم توافق تعاليم العصمة مع نهج البلاغة. في هذه الدراسة، سيتم انتقاد هذه النظرية بالاستعانة بمنهج النقد الداخلي والخارجي. بينا في النقد الداخلي أن المخاطب في هذه الرسالة هو من بني آدم، وأن العصمة لا تتعارض مع مفهوم الخطيئة والذنب؛ فالأوامر والنواهي الموجهة إلى المعصوم ذات جانب إرشادي والمصعوم يحتاج في علمه اللدني إلى الله. في النقد الخارجي، بينا أن هذه النظرية لا تتفق مع مختلف فقرات نهج البلاغة، والتي تم من خلالها شرح تعاليم العصمة.

الكلمات المفتاحية: الرسالة ٣١، نهج البلاغة، العصمة، الجميعان، الإمام علي (ع)، الإمام الحسن (ع).

* أستاذ مساعد في جامعة شاهد (الكتاب المسؤول) (m.saidiy@yahoo.com)

** أستاذ مساعد في جامعة شاهد (a.hasannia@shahed.ac.ir)

المقدمة

تعتبر وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) واحدة من أهم رسائل نهج البلاغة والتي تحتوي على تعاليم أخلاقية وتربوية هامة. وتكمن أهمية هذه الرسالة في أن إماماً يكتب إلى إمام آخر ومعصوم إلى معصوم آخر، موصياً إياه بأداء الواجبات وتجنب المحظورات. في هذا الصدد، أدت بعض فقرات هذه الرسالة إلى العديد من البحوث انكلامية بين العلماء، لأن ظاهرها لا يتوافق مع عصمة الأئمة، والتي تعتبر من المعتقدات الأساسية للشيعة (مصباح يزدي، ٢٠١٢م: ٢٤).^١ يعتقد الشيعة أن الأنبياء (ع) بمن فيهم النبي محمد (ص) معصومون في حياتهم عن ارتكاب أية خطيئة، كبيرة أو صغيرة، مقصودة أو غير مقصودة (مفيد، ١٤١٣: ٦٢). وبالتالي فإن الأئمة (ع)، الذين هم خلفاء الأنبياء (ع)، يتمتعون بمثل هذه النسبة ولا يرتكبون أي نوع من الذنوب (مفيد، ١٤١٣: ٦٥).

يتطرق عبد الرحمن بن عبد الله الجميعان، وهو عالم سلفي وهابي، إلى دراسة المعتقدات الشيعية في كتابه "قراءة راشدة لكتاب نهج البلاغة". باستخدام مختلف فقرات هذه الرسالة، ينتقد هذا العالم مختلف التعاليم الشيعية ومبادئ معتقداتهم مثل الإمامة. في هذا الصدد، يسعى الجميعان إلى استخدام نهج البلاغة لإثبات أن الأسس الشيعية تفتقر إلى مكانة هامة في هذا الكتاب الشيعي المهم والقيم، وأن الشيعة لا يتمتعون باستنتاج سليم من مصادره المعتمدة.

ومن الحالات التي تطرق فيها الجميعان إلى النقد الدقيق لتعاليم الشيعة، تعاليم عصمة الأئمة (ع) في المذهب الشيعي. وفقاً للمعتقدات الشيعية، الأئمة (ع) مثل الأنبياء (ع)، لا يرتكبون أية خطيئة كبيرة أو صغيرة في حياتهم كلها (الصدوق، ١٤١٤: ٩٦). لذلك، يحاول الجميعان إثبات أن الأئمة (ع) ليسوا معصومين من خلال تحديد عناصر ومفاهيم معينة في نهج البلاغة. وبالتالي، يقوم بدراسة أجزاء مختلفة من هذه الرسالة خلال مراحل مختلفة (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٠).

من وجهة نظره، فإن المصطلحات والتعابير الواردة في هذه الرسالة تعتبر عن عاطفة واند رؤوف عطوف على ابنه، حيث يشعر بالقلق حيال هدايته وكماله، وهو بالتأكيد أمر غير متوافق مع العصمة

١. يعتقد بعض العلماء الشيعة أن أمير المؤمنين (ع) كتب هذه الوصية لمحمد بن حنفية (ابن طلوس، ١٩٩٦م: ٢١٩). ويبدو أن ابن ميثم البرحاني قد قبل هذه النظرية نفسها (البرحاني، ١٣١٧: ٥/١). إذا كان هذا هو الحال، وبسبب عدم عصمة المرسل إليه، فلن يكون هناك أي تناقض مع عصمة الإمام. ومع ذلك، يعتقد المشهورون من المحدثين أن المرسل إليه هو الإمام الحسن (ع) (انظر: ابن شعبة الحراني، ١٣٠٣: ٤٨؛ انحر العاملي، ١٣٠٩: ٢٧/١٧٠. المجلسي، ١٣٠٣: ٧٤/١٩٨).

٢. تجدر الإشارة إلى أن السلفيين قاموا بالكثير من الدعاية حول هذا الكتاب، وفي بعض السنوات قاموا خلال فترة الحج بتوزيعه على الحجاج الإيرانيين.

(الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤). لأن المعصوم يبلغ السعادة بسبب عصمته عن ارتكاب الذنوب.

في هذه الدراسة، سنقوم باستخدام أسلوب النجاشي في دراسة نقدية لنظريته في هذا الصدد. لذلك، سنحاول استخدام نهج البلاغة لنقص حجج هذا المؤلف، على الرغم من الاستعانة ببعض الآيات القرآنية في بعض الأحيان لتحقيق هذا الغرض.

سمات الإمام القائمة على الهداية

ومن البراهين التي يقدمها المفكرون الشيعة في إثبات عصمة الأئمة، سمات الإمام القائمة على الهداية، بأنقول أن الإمام هو قائد البشر ومرشدهم، فإذا ارتكب خطيئة أو ذنباً، فإن طاعته غير صحيحة (كراكجي، ١٤١٠: ٣٤٧/١). وبعبارة أخرى، الإمام هو أمين الله سبحانه وتعالى على الدين والناس، فإذا ارتكب الأخطاء في تطبيق الأحكام الإلهية، فلن يكون قادراً على أن يكون إماماً (المجلسي، لا تاريخ: ٤٠). لذلك، يذكر القرآن دائماً الهداية بعد الإمامة (الأنبياء: ٧٣؛ السجدة: ٢٤) (الطباطبائي، ١٤١٧: ٢٧٢/١). إذا لم يكن الإمام معصوماً وارتكب الذنوب (انصغائر أو انكبات)، فإن اقتران الإمامة بالهداية في الآيات القرآنية لن يكون ذا معنى، لأن الله لا يخبر عن أمر غير واقعي وكاذب.

ويتمثل أحد أهم أجزاء هذه الوصية في تأكيد أمير المؤمنين (ع) على عدم استقرار الدنيا وأحداث اندهر، حيث ذكر فيها الإمام (ع) بالوفاء والطبيعة غير المستقرة للدنيا وأحداثها؛ وبالتالي ينصح بعدم التعلق بها. من خلال تحليل هذا البند، يسعى الجميعان إلى تحديد العناصر والمفاهيم التي تنقض النظرة الشيعية لعصمة الإمام. «مَنْ تَوَلَّيْتُ أَنْفًا... إِلَى أَنْ تُؤْتَدَ أَنْفًا مَا لَا يُدْرِكُ السَّالِكُ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضُ الْأَشْقَامِ وَرَهْنَةُ الْأَيَّامِ وَرَمَّةُ الْمَصَائِبِ وَعَبْدُ الدُّنْيَا وَتَاجِرُ الْغُرُورِ وَغَرِيمُ الْمَنَائَا وَأَسِيرُ الْمَوْتِ وَخَلِيفَةُ الْهُمُومِ وَقَرِينُ الْأَحْزَانِ وَنُصْبُ الْأَقَاتِ وَصَرِيحُ الشَّهَوَاتِ وَخَلِيفَةُ الْأُمُوتِ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩١).

إن التعابير المشار إليها أعلاه تتناقض مع عصمة الإمام الحسن ابن الإمام علي عليهما السلام. فكيف تغلب شهوات الدنيا على المعصوم؟ هل يتحدث الإمام علي (ع) عن أمور لا يفهم معانيها وبالتالي فهي كلمات غير مجدية؟ في هذه الحالة، لن يكون معصوماً. إذا افترضنا أن علياً (ع) وابنه الحسن (ع) معصومان، فإن مثل هذه التفسيرات لا تتوافق مع عصمة ابنه (الجميعان، ١٤٢٧: ٢٧). وبعبارة أخرى، فإن الحجج الشيعية في هذا الصدد تنتهكها هذه الفقرات من وصية الإمام علي (ع)، لأنه إذا كانت الصفات المذكورة أعلاه صحيحة، فلن يكون لدى الإمام القدرة على توجيه الآخرين وإرشادهم لعدم تمتعه بالعصمة.

نقد عدم تمتع الإمام بسمة الهداية

يعتقد فيض الإسلام أن الإمام علي (ع) يوجه هذه الوصية إلى بني آدم وليس للإمام الحسن (ع) فحسب، حيث أن بعض الكلمات مثل عبد الدنيا وتاجر الغرور لا تتناسب وشأن الإمام (ع) ومقام عصمته (فيض الإسلام، ١٣٧٩: ٥ / ٩٠٨-٩٠٧). لذلك، فإن هدف الإمام علي (ع) في هذه الوصية هو استخدامها من قبل كافة الأفراد. لأنه إذا كان الإمام علي (ع) باعتباره إماماً معصوماً، يعظ إماماً معصوماً آخر، فسوف يستخدم عبارات تناسب العصمة، والتي لن تكون مفيدة للآخرين. ونظراً لأن كلاهما يتمتع بالعلوم الإلهية وعدم وجود شيء مخفي عنهما، فلن تكون هذه الوصية ذات فائدة بالنسبة للآخرين، وسيزعم الآخرون أن الوصية لم تكن متعلقة بهم. ونتيجة لذلك، وعلى الرغم من أن الإمام علي (ع) قد جعل ابنه المعصوم مخاطب الوصية، لكن الهدف الرئيسي هو استخدامها من قبل كافة الناس، لا سيما وأن التعبير عن صفات المخاطب يدل على أن الوصية موجهة لكل شخص لديه هذه الصفات، على الرغم من أن مخاطب هذه الوصية هو الإمام حسن (ع) (مصباح يزدي، ٢٠١٢: ١٨-١٧).

وتنقض فقرات من نهج البلاغة استدلال الجميعان في هذا الجزء، حيث يشبه الإمام علي (ع) آل محمد بنجوم السماء الساطعة قائلاً: «إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ (ص) كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ فَكَانَتْكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمْ الصَّنَائِعُ وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمَلُونَ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ١٤٦). إن تشبيه آل محمد بالنجوم يعني أن هداية الأئمة الإثني عشر لإرشاد البشر في سبيل الله تشبه النجوم التي ترشد البشر في ظلمات النور والنجس. وكما تشرق نجمة جديدة بغروب أخرى، يحل إمام جديد خليفة للإمام الذي استشهد. وهكذا فإن هداية الأئمة دائمة (هاشمي خوني، ١٤٠٠: ١٦١/٧).

كما يبين علي (ع) حول أهل البيت قائلاً: «... هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَا يُجِزُ الْإِعْتِصَامُ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨). إن أهل البيت عليهم السلام مرجع الخلق الذي يلجأ إليه المجتمع الغارق في الجهل من عذاب الآخرة (البحراني، ١٤١٧: ٥٦٦/٤)، لا سيما وأن الاعتصام في اللغة يعني التمسك بشيء ما (ابن الأثير، ١٩٨٨: ٢٤٩/٣)، ولذلك يتمسك الآخرون بالأئمة نظراً لأنهم لا يضلون.

وتأكيداً على هذا الأمر، يدعو أمير المؤمنين (ع) الناس إلى التماس الهداية والرشد وتجنب الضلال باتباع أهل البيت (ع) قائلاً: «... اعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرْكَبُهُ... فَاتَّبِعُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ»

٣. «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ يَتَهْتَدُونَ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ النَّهْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ نَقُومُ يَعْلَمُونَ» (الأنعام: ٩٧).

(الشريف الرضي، ١٤١٤: ٢٠٦-٢٠٥). ونتيجة لذلك، فإن سمة هداية الأئمة (ع) في "نهج البلاغة" مؤكدة أيضاً وهي تثبت عصمتهم.

وقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أخرى على هذه السمة قائلاً: «انظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَانْزَمُوا سَمَتَهُمْ وَ اتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى وَ لَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى فَإِنْ نَبَدُوا فَالْبُدُوا وَ إِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا وَ لَا تَسْبِقُوهُمْ فَضْلُوا وَ لَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا.» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ١٤٣).

بانظر إلى ما تقدم ذكره، نلاحظ أن الفقرة الأولى من وصية الإمام علي إلى ابنه الإمام الحسن عليهما السلام: "مِنْ الْوَالِدِ أَنْفَانِ... إِلَى الْمُؤْتَدِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ النَّسَائِلِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ غَرَضِ الْأَشْقَامِ وَ رَهْبَةِ الْأَيَّامِ وَ رَمِيَةِ الْمَصَائِبِ وَ عَبْدِ الدُّنْيَا وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ وَ غَرِيمِ الْمَنَائِي وَ أَسِيرِ الْمَوْتِ وَ حَلِيفِ الْهُمُومِ وَ قَرِينِ الْأَحْزَانِ وَ نُصْبِ الْأَقْبَاتِ وَ صَرِيحِ الشَّهَوَاتِ وَ خَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ." (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩١) تتناقض مع بعض العبارات في نهج البلاغة حول عصمة الأئمة. إذن، السؤال الذي يطرح نفسه هو، أية من هذه الحالة نفصلة على الأئمة؟ من أهم جوانب تفضيل حديث على آخر توافقه مع القرآن: «إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَ عَلَى كُلِّ صَوَابٍ نَوْرًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَ مَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ.» (انكليبي، ١٤٠٧: ٦٩/١). بالتالي، نلاحظ أن التعابير التي تثبت عصمة الأئمة في نهج البلاغة مرجحة على العبارات الأولى في الوصية نظراً لأنها تتوافق مع القرآن الكريم (لا يزال عهدنا الظالمين) (البقرة: ١٢٤)، كما أن عصمة الأئمة قابلة للإثبات بالبراهين العقلية، لأنهم إن لم يكونوا معصومين فلا سبب يدعونا إلى طاعتهم. إذن فإن العبارات التي تثبت عصمة الأئمة (ع) مرجحة من الجانب العقلي والنقلي.

الإمام المعصوم لا يغلبه هوى النفس

من وجهة نظر الشيعة، يتمتع الإمام بمزيد من الانفضيلة والتقوى أكثر من غيره من أفراد المجتمع بسبب خصوصيات التوجيه والإرشاد (الحلي، ١٤٢٦: ٢٠٢). لذلك، لن يتعرض الأئمة لهوى النفس بسبب كونهم معصومين ولن يرتكبوا الذنوب. في حين أن البشر الآخرين لديهم رغبات عاطفية، كما أنهم يعانون أيضاً من الذنوب والخطيئة.

ويعتقد الجميعان أن هذه الحجة لا تتوافق مع تعابير الإمام (ع) الواردة في الوصية الموجودة في نهج البلاغة: «... غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَقَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمْ نَفْسِي فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَ صَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ وَ صَرَحَ لِي مَخْصُصُ أَمْرِي فَأَقْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ نَعِيبٌ وَ صِدْقٌ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ وَ وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً نَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي...» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٢-٣٩١).

إن عبارات "قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ" و "بَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ" هي عبارات شرطية. من الجانب المنطقي، لا يتوقف صدق العبارة الشرطية على صدق المقدم أو التالي لوحده، بل يتوقف على صدق الشرط (ابن سينا، ١٤٠٥: ٣٤). ومن هذا المنطلق، فإن مضمون هذا النوع من القضايا لا ينطوي على عدم كون المخاطب من أهل الخير أو كونه من أهل الشر، بل تبين حكماً عاماً (المازندراني، ٢٠٠٣: ٢٤٣/١). أي أن من يجانس أهل الخير يصبح منهم ومن يتعد عن الأشرار لا يكون منهم.

بناءً على هذا المعنى، فإن قضية "وَإِيَّاكَ وَ الْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُئْتَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى" قضية شرطية، بالتالي فإنها لا تتطلب صدق المقدم أو التالي في المخاطب. ولهذا المندعى شاهد قرآني: «نُو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَنَسُدَّنَا» (الأنبياء: ٢٢) ولكي تكون هذه الآية صادقة، لا يتطلب الأمر وجود إلهين في السماء والأرض، رغم أنها قضية شرطية صحيحة.

في التعابير التي يستخدمها أمير المؤمنين (ع) حول أهل النيت، ينفي عنهم أي نوع من هوى النفس، الاشتباه في الأمور والاختلاف في وجهات النظر والعقيدة [والناجم عن هوى النفس]: «هُمْ عَيْشٌ أَعْلَمُ وَ مَوْتُ أَجْهَلُ يُخَيِّرُكُمْ جُلُومُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَ لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ... وَ انْزَاحَ انْبِاطِلٍ عَنْ مُقَامِهِ وَ انْقَطَعَ نِسَانُهُ عَنْ مَنِيَّتِهِ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٥٧-٣٥٨). إن هذه التعابير، أي حياة المعرفة وفناء الجهل، عدم معارضة الحقيقة وعدم وجود اختلاف حولها، وعودة الحقيقة إلى مكانها من جانبهم، واجتثاث الباطل من جذوره، تدل على وجود علم يقيني وعدم وجود هوى النفس. ونتيجة لذلك، لا يتأثر الأئمة بالرغبات العاطفية وهوى النفس وبالتالي فهم معصومون.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إذا ارتكب الأئمة خطيئة، فيجب أن يكونوا خاضعين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر عام ولا يقتصر على شخص معين أو جماعة محددة، وفي هذه الحالة لن تكون الإمامة لائقة بهم، وبالتالي لا يجب اتباعهم (الحلي، ١٤١٣: ٣٦٤).

ويأخذ الجميع هذا الأمر بعين الاعتبار، فيبين عدة فقرات من نهج البلاغة نقضه: «فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيْ بُنْيَ وَ لُزُومِ أَمْرِهِ وَ عِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَ الْإِعْتَصَامِ ... فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَ لَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ وَ دَعْ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَ الْخُطَابَ فِيمَا نَمْ تُكَلِّفُ وَ أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيَرَةِ انْضِلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٢).

لماذا يوصي معصوم معصوماً آخر بعمل الخير، بينما يعلم أن جميع أفعاله صحيحة وأنه لا يرتكب خطيئة أو ذنباً؟ والسؤال الأكثر أهمية هو، لماذا يوصي علي (ع) الحسن (ع) بتقوى الله وتبليته وصاياه، ثم يرشده لإحياء قلبه من خلال الوعظ؟ ألا يتبع المعصوم

إن التعابير التي استخدمها الإمام علي (ع) في هذه الفقرة تنكر عصمته بصراحة. مثل صدق التفكير، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح. إن هذه الأمور لا تنطبق على الشخص المعصوم. لأن هذه الفقرات تعبر عن أن أفكار المتحدث ليست صحيحة، وأن الأفكار الخاطئة شقت طريقها إلى داخله، مثل هوى النفس، وبالتالي الحاجة إلى الابتعاد عنه. ولهذا السبب، فإن السؤال الجوهرى هو: هل يعاني المعصوم من هوى النفس الذي يقوده إلى كل جانب؟ أم أنه يتمكن من السيطرة عليه؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣١). إذا كان هذا هو الحال، فإن النظرة الشيعية لعصمة الإمام متهكة.

ويحذر الإمام علي (ع) ابنه من اللجوء إلى النهم والأمنيات غير المجدية لكي لا يكون من الذين يمتنعون عن القيام بالأعمال الصالحة: «قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَ بَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ ... وَ إِيَّاكَ وَ الْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُئْتَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكَى» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٠٢). بالتالي فإن تعابير الإمام علي (ع) تدل على أن عدم عصمة الإمام الحسن (ع) بسبب وجود هوى النفس لديه.

كيف يمكن أن تكون الاختلافات الموجودة بين الناس خداعة بالنسبة للإمام الذي يتم تعيينه من قبل الله ويكون معصوماً عن جميع الانحرافات والأخطاء؟ «ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ مِثْلَ الَّذِي تَلْتَبَسُ عَلَيْهِمْ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤). إن علياً (ع) يأمل أن يرشد الله ابنه. ونتيجة لذلك، فإن الأئمة ليسوا موجّهين، بل إنهم في جميع الحالات والظروف مثل البشر الآخرين، يحتاجون إلى التوجيه والإرشاد (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٤).

نقد عصمة الإمام من هوى النفس

وفقاً للمتكلمين الشيعة، فإن القدرة على ارتكاب الذنوب لا تعارض مع العصمة. بالتالي، يمكن للشخص المعصوم أن يتخيل أو يفكر بأشياء مختلفة لا تتناقض مع عصمته. إن فعل الخطيئة يتناقض مع العصمة. ونتيجة لذلك، لا تتناقض عبارات مثل صدق التفكير، وإبعاد هوى النفس والتفكير الصريح مع عصمة المخاطب.

ولا يتطلب هذا النوع من التعابير أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) قبل كتابة هذه الوصية عالماً بالدنيا والآخرة أو الموت، بل إنه كان على علم بها دائماً، لكن هذه الحالة تصبح أقوى في مرحلة الشيخوخة وتجعل الإنسان يشعر بآخרת (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ٥٨/١). ومما يدل على هذا الأمر تعبير أمير المؤمنين (ع) عن سبب قبول الخلافة بالتفصيل، مبيناً أن الدنيا لا تساوي عنده أكثر من عقطه عزز: «... لَأَقْبِئْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَزْزٍ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٥٠). ولذلك فإن التعابير التي يستدل بها الجميعان في هذا الجزء، لا تبين عدم عصمة الإمام، بل تبين غلبة التفكير بالله (ابن أبي الحديد، ١٤٠٤: ١٦-٥٩). و تراجع التفكير بالدنيا وشؤونها.

المنطلق، فإن حقيقة الحكم الإرشادي تكمن في توجيه امرء إلى مصلحته في الأمور به ومفسدته في المنهي عنه (الحكيم، ١٤١٤: ٥/ ٢٦٦). إن هذه الأوامر والنواهي إرشادية وليست مولوية، وبالتالي فإن سبب صدورها يكمن في دفع المكلف إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وهذا لا يتعارض مع عصمة الأئمة (ع).

فضلاً عن ذلك، يزعم المتكلمون الشيعة أن العصمة لا تتنافى مع القدرة على ارتكاب الخطايا. لهذا السبب، يستحق المعصومون الشفاء على تجنب ارتكاب الخطايا. وبخلاف ذلك، فهو لا يخضع لتواجبات الدينية، ويتم إبطال جانبه الإنساني. في حين أن المعصوم هو أيضاً مكلف مثل البشر بالتقيد بالتواجبات وترك المحظورات (الحلي، ١٤١٣: ٣٦٥). ونتيجة لذلك، فإن سبب توجيه الأوامر والنواهي إلى المعصوم يكمن في قدرته على فعل الخطايا (المفيد، ١٤١٣: ١١٥). والنتيجة هي توجيه النصيحة من قبل الإمام علي (ع) إلى ابن الحسن (ع) ليست متناقضة مع العصمة.

إن الفقرات التي يستشهد بها الجميعان في نقد وجهة النظر الشيعة حول المعصوم، تتناقض مع آيات من القرآن الكريم. وتجمع كافة الفرق الإسلامية على أن النبي محمد (ص) معصوم عن ارتكاب المعاصي والخطايا (الرازي، ١٩٨٦: ١١٦-١١٥)، وعلى الرغم من ذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمره بفعل الواجبات وترك المحظورات حيث يقول: «أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ». (العنكبوت: ٤٥)؛ «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً». (الأحزاب: ١)؛ «فَأَمَّا النَّبِيُّ فَلَآ يُفْهَرُ وَأَمَّا النَّسَاءُ فَلَا تَنْهَرْنَ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (الضحى: ١١-٩). أتم يكن رسول الله (ص) يتلو الوحي الإنهي على الناس؟ أتم يكن تقياً ويتجنب اتباع الكفار والمنافقين؟ أتم يتجنب قهر اليتيم ونهر النساء؟ فلماذا إذن يوجه تعاني هذه الأوامر إلى رسول وهو أكثر المعصومين كمالاً؟ نستنتج أن هذه الآيات لا تتناقض مع عصمة النبي محمد (ص)، وبالتالي فإن الفقرات التي يستشهد بها الجميعان في نقد وجهة النظر الشيعة حول المعصوم لا تنفي عصمة الأئمة.

علم الإمام ليس كسبياً

الإمام عالم فيما يتعلق بشؤون الإمامة، وكيفية إدارة الشؤون الإنسانية والشريعة، ويتم إثبات مثل هذا الرأي بعقلانية (الطوسي، ١٤٠٦: ٣١٠). لهذا السبب، وفقاً لوجهة نظر الشيعة، فإن الأئمة (ع) مثل النبي محمد (ص)، يتمتعون بالعلم الغيبي والدني. وهكذا فكلما أرادوا يكون هذا العلم في متناول يدهم بإذن الله (خرازي، ١٤٢٠: ٢/ ٤٦). وقد ذكر هذا الأمر أيضاً في بعض روايات الشيعة: «إِذَا أَرَادَ الْإِمَامُ أَنْ يَعْلَمَ شَيْئاً أَعْلَمَهُ اللَّهُ ذَلِكَ». (الكليني، ١٤٠٧: ١/ ٢٥٨). في وجهة النظر الشيعة، لا يحتاج الأئمة بسبب هذا العلم إلى التعلم،

دوماً في سلوكه منهجاً محدداً ويمارس أفعاله وفقاً له؟ وبعبارة أخرى، فإن الشخص المعصوم لديه دائماً طريقة محددة في حياته ولا يعاني من الرغبات العاطفية وهوى النفس (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٢). لذلك، فإن نصيحته بتقوى الله لا معنى لها هنا.

والأهم من ذلك أن الإمام علياً (ع) يتطرق لتعابير مثل النهي عن بيع الدنيا بالآخرة والتحدث عن الأمور التي ليس للإنسان معرفة بها، مما يثبت أن الإمام ليس معصوماً (المصدر نفسه: ٣٢). بتعبير آخر، من الممكن أن يخالف الحسن (ع) هذه الأمور ولذلك قام علي (ع) بتوصيته بتجنب مخالفتها.

ينصح الإمام علي (ع) ابنه بالاكْتفاء بما فرضه الله تعالى والأخذ بما مضى عليه الأولون والصالحون من أهل النبوت: «وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ وَ الْإِقْصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَ الْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ وَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤). ثم يقول الإمام علي (ع) بأن كل عمل يحتاج إلى تفكير وتدير. ولذلك لا يجب انتظار الوحي الإنهي: «مَنْ أَهْلُ بَيْتِكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ وَ فَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤) (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٥).

ويتابع الإمام علي (ع) نصيحة ابنه بتجنب الوقوع في الشبهات قائلاً: «فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَ تَعْلَمٍ لَا بِتَوَرُّطٍ انْشِبَاهٍ وَ عُلَيِ الْخُصُومَاتِ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥-٣٩٤)؛ «فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبُطُ الْعُشْوَاءَ وَ تَتَوَرَّطُ الظُّلُمَاءَ وَ لَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ وَ الْإِسْمَاكَ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥). الشبهة عمل لا يدرك الإنسان صحته من عدمها أو حاله من حرامه. ولكن السؤال هو: هل يقع الإمام المعصوم في الشبهات؟! هل يمكن لهوى النفس أن يضله كما يفعل بالآخرين من بني آدم؟! إذا لم يكن الأمر كذلك، فما هو معنى كلام الإمام علي (ع) الموجه إلى ابنه؟ (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٥).

وبالتالي ونظراً لوجود هذه التعابير في وصية الإمام علي (ع)، فإن الإمام الحسن (ع) غير معصوم ووجهة نظر الشيعة خاطئة في هذا المجال.

تناسب الأوامر والنواهي مع عصمة الإمام

يبدو أن الأوامر والنواهي التي تخاطب الإمام المعصوم، لا تعني انتهاك عصمته، بل إنها خبر لأتباعه الذين لا يتخطونها أبداً. ولذلك، فإن اتباع البشر الآخرين سيعطي الأولوية لهذه المسائل. إن المبدأ التوجيهي مقابل للمولوي وليس المقصود منه تحفيز المكلف على فعل الواجبات وترك المحظورات، بل الغرض الوحيد منه هو توجيهه إلى مصلحته في الأمور به ومفسدته في المنهي عنه (المصدر، ١٤٠٨: ٤/ ٤١٣). ومن هذا

وبناءً على ذلك، ونظراً لأن الإمام الحسن (ع) غير معصوم، فإن الإمام علي (ع) يعظه باتباع سنة النبي محمد (ص) لأجل النجاة مثل سائر المسلمين: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا نَمَّ يُنْبِئُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ [ص] فَارْضَ بِهِ رَائِدًا وَ إِنِّي النَّجَاةُ قَائِدًا». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦؛ النجيمان، ١٤٢٧: ٣٧).

بما أن الإمام علياً بن أبي طالب (ع) لا يثق بمستقبل ابنه، فإنه يعظه بتوحيد الله ومبادئ الدين وأصوله، حتى تلك المبادئ البسيطة التي يعرفها كل مسلم، مثل التوحيد والفكر والتدبر في الأعمال والمخلوقات، و يذكره بصفة الأول والآخر: «وَاعْلَمَ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ نُو كَانَ يُرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَنَّكَ رُسُلُهُ وَ تَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطَانِيهِ وَ نَعَرْتَ أَفْعَالَهُ وَ صِفَاتِهِ وَ لَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ وَ لَا يَزُولُ أَبَدًا وَ نَمَّ يَزَلُ أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ وَ آخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَائِيَّةٍ عَظُمَ [أَنْ تَنْبِتَ] عَنْ أَنْ تَنْبِتَ رُبُوبِيَّتَهُ بِإِخَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦). وفضلاً عن ذلك، يؤكد علي (ع) على تعلم ابنه من هذه النجمل والعبارة: «فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِيُثَبِّتَكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ...». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦). فهل يحتاج الإمام الحسن (ع) إلى مثل هذا التذكير مثل أي إنسان آخر؟ (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٦؛ النجيمان، ١٤٢٧: ٣٨).

نقد علم الإمام الكسبي

على الرغم من أن علم الإمام يعتمد على إرادته، إلا أن إرادته تتماشى مع إرادة الله وغايته، ولن يريد إلا ما يريد الله (جواد آمل، ٢٠١٠م: ٢٢٠). هناك نقطة أخرى وهي أن العلم اللدني لا يعني العلم بأكمله منذ البداية، ولذلك يحتاج الإمام دائماً إلى الله في علمه. ولذلك، فإن الأمر بالتعلم ينطوي على إرادته كما أن الاستخارة تنطوي على الإرادة الإنهية بعلم الأئمة (ع). أما بالنسبة لعلم الإمام اللدني، فإن معناه إنكار تعلم الإمام من إنسان آخر، وبالتالي لا يتعارض علمه مع علم إمام آخر. ولأن الإمام يجب أن يكون أكثر فضيلة من البشر الآخرين، ففي تعليم العلوم، يكون المعلم ذا فضل أكثر من المتعلم. في هذا الصدد، فإن وصايا هذا الجزء إرشادية، وهي تهدف إلى التوجيه إلى حكم العقل في هذا المجال، لأن العقل البشري، وبغض النظر عن الشريعة، يعترف بالتعلم وتوحيد الله وعدم الشرك به.

ويرفض أمير المؤمنين (ع) في فقرات من نهج البلاغة كون علم أهل البيت (ع) كسبياً فيقول: «عَقَلُوا الَّذِينَ عَقَلُوا وَغَايَةِ لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَ رَوَايَةِ فَإِنَّ رَوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَ رُغَاةُ قَلِيلٌ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨). "رواية" تعني الحفاظ والفهم (أرد، ٢٠٠٨: ١٣٣٣)، وبما أنها تقابل "سماع" و "رواية" في هذا النص، فإن المقصود بالرواية هو العلم غير الكسبي الذي لا يحتاج إلى التعلم.

ووصف الإمام علي (ع) في خطبة أخرى أهل البيت (ع) كمايلي: «هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ وَ لَجَأُ أَمْرِهِ وَ عَيْبَةُ عِلْمِهِ وَ مَوْئِلُ حُكْمِهِ وَ

وبسبب كون هذا العلم إنهياً، فليس هناك أي خطأ أو شبهة في علمهم، لأن الخطأ والشبهة موجودان في العلوم الكسبية والإنسانية، وليس في العلوم الإنهية واللدنية. نتيجة لذلك، وبسبب عدم وجود خطأ في علم الأئمة، فهم لا يرتكبون الخطيئة أو الذنوب.

يرى النجيمان أن هذا الأمر لا يتفق وبعض الفقرات في نهج البلاغة: «... تَفَقَّهُ فِي النَّدِينِ... وَ أَكْثَرَ الْإِسْتِخَارَةِ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٣-٣٩٢)، لأن عبارة "تَفَقَّهُ فِي النَّدِينِ" أمر بالتفقه والتعلم في الدين أو كونه كسبياً وهذا يتناقض مع العلم اللدني للإمام (النجيمان، ١٤٢٧: ٣٣).

وتؤيد عبارة "أَكْثَرَ الْإِسْتِخَارَةِ" هذا الأمر. يتم اللجوء إلى الاستخارة لطلب المساعدة والإرشاد من الله سبحانه في المجالات مختلفة للوصول إلى الطريق الصحيح والقيوم. إذا كان للإمام علم لدني، فهذا يعني أن للاستخارة معنى. ومن ثم فإن الاستخارة تشير إلى أن الأئمة لم يكونوا يعتبرون أنفسهم معصومين (النجيمان، ١٤٢٧: ٣٣).

ويبين الإمام علي (ع) أنه علم ابنه أولاً كتاب الله وشريعة الإسلام وأحكامه: «أَنَّ أَبَدْتَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ تَأْوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ وَ خَلَائِهِ وَ حَرَامِهِ». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤). إذا كان الإمام على معرفة بجميع العلوم، فما حاجة الإمام الحسن (ع) إلى العلم الذي علمه إياه والده؟ (النجيمان، ١٤٢٧: ٣٤).

ويطلب الإمام علي (ع) من ابنه أن يفهم وصيته جيداً ويصغي إلى كلامه ويأخذه على محمل الجد قائلاً: «فَتَفَقَّهُمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥). هذا التعاير يشير إلى أن الإمام الحسن (ع) لم يكن يعرف كل شيء، بل هناك أشياء لا يعلم بها ويتعلمها من الآخرين: «فَإِنَّ أَشْكَالَ عَالِيكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ...». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥). تفيد هذه العبارة بأن بعض العلوم لم يكن متاحاً للإمام الحسن (ع) (النجيمان، ١٤٢٧: ٣٦).

و يؤكد الإمام علي (ع) أن الحسن (ع) مثل سائر البشر ولد ولم يكن يعرف شيئاً، فتعلم وتقدم في علمه: «فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عُلِّمْتَ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥). و يؤكد الإمام علي (ع) على هذا الأمر قائلاً: «وَ مَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَ يَحْزِرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَ يَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ثُمَّ يُصِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ...». (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) مما يدل على الجهل ببعض الأمور والحيرة والضلال ثم إدراكها، وهذا ما ينفي عصمة المخاطب (النجيمان، ١٤٢٧: ٣٧)٤.

٤. إن الفقرات التي يستدل بها النجيمان تناقض مع الآية الكريمة التي تقول: «مَا كُنْتُ تَذَرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْتَهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (شورى: ٥٢). وكما أن هذه الآية لا تناقض مع عصمة النبي محمد (ص)، فإن الفقرات المذكورة لا تناقض مع عصمة الأئمة. تفيد هذه الآية الكريمة بأن النبي لم يكن عالماً لوحده بل استمد علمه من الله تعالى (الطباطبائي، ١٤١٧: ٧٧/١٨). وهكذا فإن الفقرات المذكورة تبين أن علم الأئمة مستمد من الله سبحانه وتعالى.

إثبات عصمة الإمام ينتهك مبادئ الشيعة ومعتقداتهم في نهج البلاغة.

نقد إمكانية ارتكاب الظلم من قبل الإمام

يقسم الظلم في "نهج البلاغة" إلى ثلاثة أنواع: الظلم الذي لا يقبل المغفرة وهو الشرك بالله، والذي يقبل المغفرة مثل الظلم الذي يرتكب فيه الإنسان الخطايا بحق نفسه، وظلم بعض الناس لبعضهم الآخر وهو مشمول بالقصاص (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٢٥٥). إذا ارتكب المرء أيًا من هذه الأنواع من الظلم فهو لا يستحق الإمامة، والآية ١٢٤ من سورة البقرة تثبت ذلك. ويصف أمير المؤمنين (ع) أهل البيت في نهج البلاغة كمايلي: «لَا يُخَايَفُونَ الْحَقَّ وَلَا يُخْتَلَفُونَ فِيهِ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٥٨). ويتطلب هذا الأمر أن يكون الإمام عادلاً غير ظالم، لأن الظالمين على خلاف مع العادلين.

وفي هذا الصدد، فإن النهي الوارد في العبارة التي استدلت بها الجميعان لا تعني الاتصاف بالظلم أو عدم فعل الخير والإحسان، بل بعدم الاتصاف بالظلم وفعل العمل الصالح. ينص في الأقسام السابقة أن توجيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الأئمة لا يتنافى مع عصمتهم. وبالتالي، فإن النهي عن الظلم لا يعني الاتصاف به. وبعبارة أخرى، فإن النهي في هذه العبارة ذو طابع إرشادي، لأن شر الظلم وقبحه واضح. ونتيجة لذلك، فإن النهي في هذه العبارة هو توجيه لهذا الحكم العقلاني، وبالتالي لا يعني أن مخاطب الوصية، أي الإمام حسن (ع)، ظالم.

وهذه الفقرة من نهج البلاغة تشبه الآية القرآنية التي تقول: «وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ» (القصص: ٧٧). إن أمر النبي محمد (ص) بالإحسان ونهيه عن الفساد لا يعني اتصافه بأضدادها ولا يتنافى مع عصمته.

الخاتمة

تطرق عبد الرحمن الجميعان، وهو من انكتاب السلفيين، إلى تحليل وصية الإمام علي لابنه الحسن عليهما السلام، ساعياً إلى إثبات عدم توافق تعاليم المذهب الشيعي مع هذه الوصية. يرى الجميعان في هذه الوصية ووفقاً لبعض فقرات نهج البلاغة، أن النموذجي والنموذجي كلاهما من أبناء آدم وغير معصومين عن ارتكاب الخطيئة. بأخذ هذه الأمور بعين الاعتبار وربطها بالحجج الشيعية في إثبات عصمة الأئمة، يسعى الجميعان إلى تضخيم هذا التناقض الداخلي.

وبالنظر إلى حقيقة أن حجج الجميعان في هذه النظرية مبنية على نهج البلاغة، فإن الدراسة الحالية التي تركزت على هذا الكتاب، أثبتت عدم صحة نظرية هذا الكاتب السلفي باستخدام عبارات نهج البلاغة، لأن تعاليم العصمة مشروحة ومفسرة في أنحاء مختلفة من هذا الكتاب. ومع ذلك، فإن بعض الآيات القرآنية الكريمة موجهة أيضاً إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

كُهِفُوا كُتُبِهِ وَجِبَالٌ دِينَهِ بِهِمْ أَقَامَ أَنْجَاءَ ظَهْرِهِ وَ أَذْهَبَ ارْتِعَادَ قَوَائِصِهِ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٤٧).

بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الإمام علي (ع) في "نهج البلاغة" علم الإمام واحداً من الشروط الأساسية بالإضافة إلى سماته الهامة الأخرى مثل عدم الإهمال وتجنب الظلم والرشوة (الشريف الرضي، ١٤١٤: ١٨٩). وبالنظر إلى هذه الشروط والأحكام، فإن الإمام أكثر فضلاً من الآخرين وهو متفوق عليهم في هذا المجال. إذا كان الإمام بحاجة إلى أن يكون لديه معلم، فلن يكون أفضل من جميع أفراد المجتمع، لأن معلمه سيكون أكثر فضيلة في العلم والكمال.

بالنظر إلى ما تم ذكره، كيف يمكن للمرء أن يعتقد بأنه أمير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة لديه منهج كسبي في العلم؟

ووفقاً للنقاط الواردة في الأقسام السابقة، فإن توجيه الأوامر والنواهي إلى الإمام لا يتناقض مع عصمته وسماته الأخرى مثل العلم اللدني، لأن العصمة لا تعني نفى القدرة والاختيار. لذلك، فإن المعصوم مكلف بالتفقه في الدين.

ومن انفقرات التي استشهد بها الجميعان، تعليم الإمام علي (ع) القرآن والشريعة الإسلامية لابنه (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٤). ووفقاً للحجة التي تنطوي على أفضلية الإمام، فإن تعلم المعصوم من معصوم آخر يُنظر إليه على أنه أفضل، وبالتالي فإن إمامته مرفوضة. ومع ذلك، في تعليم الإمام لإمام آخر، لن تحدث مثل هذه القضية. وكما ذكر في بعض هذه الفقرات، لم يتم تحديد معلم الحسن (ع): «عَلِّمْتَ؛ تُبَصِّرُهُ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٥) حيث استخدمت أفعال مجهولة.

وفقاً لهذه النقاط المنصوص عليها في نهج البلاغة، فإن الإمام ليس مثل غيره من الناس في المجتمع: «لَا يُقَاسُ بِأَلٍ مُحَمَّدٍ (ص) مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٤٧).

الإمام ليس ظالماً

من أهم حجج المفكرين الشيعة قول الله تعالى "لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" (البقرة: ١٢٤). تبين هذه الآية الكريمة قضية دائمة (الحلي، ١٤٠٩: ٢٧٦). ومن هذا المنطلق، يجب أن يكون الإمام معصوماً طوال عمره، وبما أن حرف "لا" في الآية المذكورة يلعب دور انفي (عاس، ١٤٢٥: ٥٣/١)، فلا يمكن أن يكون الإمام ظالماً، وبالتالي فإن ارتكابه لأي ذنب يتناقض مع مفهوم الآية الكريمة.

وينتهي الإمام علي (ع) في فقرات من وصيته ابنه الحسن (ع) عن الظلم ويدعوه إلى الإحسان: «وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ» (الشريف الرضي، ١٤١٤: ٣٩٧). فهل هناك تفسير أوضح من ذلك يثبت بأن الإمام علياً لا يعتبر ابنه معصوماً عن الخطأ؟ لأن النهي عن ارتكاب الظلم يوجب بأن المخاطب قد يرتكبه (الجميعان، ١٤٢٧: ٣٨). ومن ثم فإن الاستدلال المذكور أعلاه في

المصادر

- انشريف الرضي، محمد بن حسين (١٣١٤). نهج البلاغة. تصحيح صبحي صالح. قم: هجرت.
- شهيدى، جعفر (١٩٩٩م). ترجمه نهج البلاغة. طهران: شركت انتشارات علمى و فرهنگى.
- صدوق، ابن بابويه قمى (١٤١٤). الاعتقادات. قم: المؤتمر العالمى للشيخ المفيد.
- صدر، محمد باقر (١٤٠٨). مباحث الاصول. قم: مكتب الاعلام الاسلامى.
- طباطبائى، سيد محمد حسين (١٣١٧). الميزان فى تفسير القرآن. قم: دفتر انتشارات اسلامى جامعى مدرسين حوزه علميه قم.
- طوسى، محمد بن حسن (١٤٠٦). الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد. بيروت: دار الأضواء.
- فيض الاسلام اصفهاني، على نقى (٢٠٠٠م). ترجمه و شرح نهج البلاغة. طهران: مؤسسه چاپ و نشر تأليفات فيض الإسلام.
- كراچكى، محمد (١٤١٠). كنز الفوائد. قم: انتشارات دار الذخائر.
- كلينى، محمد بن يعقوب (١٤٠٧). الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية.
- مازندراني، محمد صالح بن احمد (٢٠٠٣م). شرح الكافي لأصول و الروضة. طهران: المكتبة الإسلامية.
- مفيد، محمد بن محمد بن نعمان (١٤١٣). المسائل العكبيرة. قم: المؤتمر العالمى للشيخ المفيد.
- مجلسى، محمد باقر (بى تا). حق اليقين. طهران: انتشارات اسلاميه.
- _____ (١٤٠٣). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: دار إحياء التراث العربى.
- مصباح يزدي، محمد تقى (٢٠٠٢م). نبد جاويد: شرح وصيت أمير المؤمنين علي (عليه السلام) به فرزندش امام حسن مجتبى (عليه السلام). نگارش علي زينتي. قم: انتشارات مؤسسه آموزشى و پژوهشى امام خمينى (قدس سره).
- مفيد، محمد بن نعمان (١٤١٣). أوائل المقالات فى المذاهب و المختارات. قم: المؤتمر العالمى للشيخ المفيد.
- هاشمى خويى، ميرزا حبيب الله (١٤٠٠). منهاج البراعة فى شرح نهج البلاغة. طهران: مكتبة الإسلامى.
- القرآن الكريم
- ابن الأثير، مبارك بن محمد (١٩٨٨م). النهاية فى غرب الحديث و الأثر. قم: مؤسسه مطبوعاتي اسماعيليان.
- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبه الله (١٤٠٤). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد. قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي.
- ابن شعبه حرانى، حسن بن على (١٤٠٤). تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله. قم: جامعه مدرسين.
- ابن سينا، حسين بن عبدالله (١٤٠٥). منطق الشفاء. قم: مرعشى نجفى.
- ابن طاووس، على بن موسى (١٩٩٦م). كشف المحجة لثمرة المهجة. قم: بوستان كتاب.
- بحراني، ابن ميثم (١٣١٧). شرح نهج البلاغة، ترجمه محمدى مقدم و نوائى. مشهد: مجمع البحوث الإسلامية.
- انجميان، عبدالرحمان بن عبدالله (١٣٢٧). قراءه راشده لكتاب نهج البلاغة. كويت: بيت التمويل الكويتي.
- حلى، حسن بن يوسف (١٣٢٦). تسليك النفس الى حظيرة القدس. تحقيق فاطمه رمضانى. قم: مؤسسة الإمام الصادق (ع).
- _____ (١٤٠٩)، الألفين، قم: هجرت.
- _____ (١٣١٣). كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد. تصحيح حسن زاده آملی. قم: مؤسسه النشر الاسلامى.
- حر عاملی، محمد بن حسن (١٤٠٩). تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام.
- حكيم، سيد عبد صاحب حكيم (١٣١٤). منتقى الاصول. قم: انتشارات امير.
- جوادى آملی، عبدالله (١٣٨٩). همتاي قرآن و اهل بيت عليهم السلام. قم: اسراء.
- خرازى، محسن (١٣٢٠). بداية المعارف الالهيه فى شرح عقائد الامامية للمظفر. قم: نشر اسلامى.
- دعاس، حميدان قاسم (١٣٢٥). اعراب القرآن الكريم. دمشق: ناشر دارالمنير و دارانقارايى.
- رازى، محمد بن عمر (١٩٨٦). الاربعين فى اصول الدين. حسين محمد امبابى. قاهره: مكتبة انكليات الازهرية.